يتوصل العدو الى ردعها مباشرة عن طريق وجود القوة أو التهديد باستخدامها بل حتى عن طريق استخدامها بمختلف الاشكال وأشدها عنفا . وهذه هي الظاهرة التي أذهلت المنظّرين العسكريين الاسرائيليين ، واحبطت العديد من مخططاتهم ، ودفعتهم بعد **تصاعد العنف الثوري في مواجهة العنف القمعي** الى ادخال عامل جديد في حسابات مواجهتهم مع المقاومة وهو عامل « **لا عقلانية ردود الفعل** » الذي يزيد قدرة المقاومة على تحقيق المفاجأة ، ويجعل قادة العدو عاجزين عن تحديد كافة الاحتمالات التي يمكن ظهورها ، ويجبرهم على وضع عشرات الخطط البديلة المحتملة .

٣ ــ **التأكيد على جدية الهجوم المضاد الاجهاضي** : يحتل «الهجوم المضاد الاجهاضي»، أو « الهجوم المضاد الوقائي » مكانة كبيرة في الاستراتيجية الاسرائيلية ، ولقد شرحه قادة العدو مطولا وميزوه عن « الحرب الوقائية » ، واعتبروه نوعا من الدفاع الديناميكي ، وبرروا به كل هجماتهم العدوانية على الجبهات العربية . كما تحدث عنه الكتاب العسكريون العرب بشكل مسهب يجعل من التكرار التحدث عنه في هذا المقال(٢٩). وكل ما يهمنا هنا هو بحث هذه المسالة من وجهة نظر تأثيرها الردعي .

يستفيد الردع الاسرائيلي من جدية التهديد « بالهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) اعتمادا على المبدأ العسكري القائل : « لا ينتج الردع التقليدي عن القدرة على الانتصار ... ولكنه ينتج من الراي الذي نكونه عن قدرة الخصم على الانتصار »(٣٠). ولقد قام العدو بهجومه المضاد الاجهاضي (الوقائي) على نطاق واسع شامل مرتين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) ، كما قام بهذا الهجوم مرات عديدة على نطاق محدود على الجبهات المصرية والسورية والاردنية وفي جنوب لبنان وحقق خلال هذه الهجمات عددا من الانتصارات العسكرية التي جعلت للتهديد بهذا « الهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) وزنا ملحوظا في حسابات القيادات العربية . ويشرح بيغال آلون أهمية هذا التهديد بقوله : « ان الاعتراف بالحق في الهجوم المضاد الاجهاضي يزيد قدرة الاقناع الرادع للطرف المدافع ، ويقلل بالتالي من احتمالات العمل الفدائي »(٣١).

٤ ــ **الردع غير المباشر** : تلجأ الدول عادة الى « الردع غير المباشر » للصراع ضد عدو لا تستطيع التأثير عليه بشكل مباشر ، ولا يمكنها أن تتوصل الى ردعه ردعا شاملا **رغم استخدامها لمختلف وسائل الردع المتوفرة لديها** . ولقد استخدمت اسرائيل في صراعها ضد رجال المقاومة الفلسطينية كل أساليب الحرب الشاملة ، وصعّدت عملياتها ضدهم الى أقصى حد ممكن ، واستخدمت في ضربهم جميع الوسائل المكنة (تخريب ، تجسس ، اغتيال ، هجمات برية ، قصف جوي) . ولكن هذه الحرب الشاملة التي نادى بها عدد من « الصقور » الاسرائيليين ، والتي اعتقد الملحق العسكري زئيف شيف انها تنطوي « على أمل بكبح جماح الارهاب واتعاب الارهابيين [رجال المقاومة] ومن يدعمونهم »(٣٢) لم تؤد الى النتيجة المرجوة ، ولقد ذكرت النيويورك تايمز (٧٢/١٠/١٨) بعد تصاعد عمليات القصف البري والجوي ضد قواعد المقاومة « ان التكتيك الاسرائيلي الجديد في ضرب الفدائيين العرب لا تتوفر له على المدى البعيد فرص التوصل الى نتائج نهائية » ... « ان قوة التدمير التي يمارسها الفدائيون لا يمكن أن تقضي عليها الغارات الجوية كما أن ضرب الفلسطينيين بالقنابل لا يحل المشكلة الفلسطينية » .

ويمكننا أن نؤكد أنه بالرغم من عنف الضربات المباشرة وتواترها فان المقاومة لم تختف من الوجود ، بل بقيت عنصرا متحركا لا يمكن تجاهله أو التغاضي عن تأثيرات ضرباته في الداخل والخارج . ويعتبر بقاؤها واستمرار فاعليتها (رغم تضاؤل هذه الفاعلية بعد خسارة الساحة الاردنية) تأكيدا لقول رئيس أركان الجيش الاسرائيلي السابق الجنرال حاييم بارليف « لا يمكن ان تنتهي الحرب ضد الارهابيين [رجال المقاومة] الا في **اطار التسوية** . ويستحيل القضاء على هذا النشاط ، انما من الممكن تحديده »(٣٣). وهذا هو